

287034 - التبني، والفرق بين الأب والوالد .

السؤال

أنا طالب جامعي ، ولدينا دكتور يدرسنا العقيدة ، ويقول : بأن التبني جائز ، والدليل هو أن هناك فرق بين (الأب) ، و(الوالد) ، فالأب هو المربي ، ولكن الوالد هو الذي أنجب وخرجت من صلبه ، ودليل كلامه أن الله تعالى قال : ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ ، ولم يقل والديهم ، واستدل بالفرق بين الكلمتين بقوله تعالى : ﴿... لِأَبِيهِ آزْرًا﴾ ، فلماذا رب العالمين حدد اسم الأب ؟ لأنه معلوم إن كان بمعنى الذي أنجب من صلبه؛ فهذا دليل على أن هناك فرق بين الكلمتين ، وبعد هذا الكلام وجدت أن كلامه به منطوية ، ويقول : بأن السلف كانوا يخلطون بين بعض الكلام ؛ لذلك أخطأوا في الفتوى والفهم .

الإجابة المفصلة

أولاً:

حرم الله تعالى التبني لأن فيه تضييقاً للأنسب وقد أمرنا بحفظ أنسابنا .

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : **«ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوا مقعده من النار»** رواه البخاري (3317)، ومسلم (61) .

ومعنى كفر : أي جاء بأفعال الكفار لا أنه خرج من الدين .

لأن فيه تحريم لما أحل الله وتحليل لما حرم .

وانظر، لمزيد من البيان: (5201).

ثانياً:

أما الحجة التي استند إليها ذلك الدكتور فهي تدل على جهله وضحالة علمه ، ومن عجب أن يصدر مثل هذا ممن تدرج في مراتب التعليم المختلفة ، وممن يُفترض فيهم البحث العلمي .

ولن نذهب بعيداً فننقل عن المعاجم أن الوالد والأب بمعنى واحد، ولكننا سنذهب إلى القرآن لنرى هل تصح هذه الدعوى، بأن الوالد هو الأب الشرعي، والأب هو الوالد بالتبني !

يقول تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. سورة البقرة/133

وقال عن إخوة يوسف: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. سورة يوسف/8

وقال: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾. سورة يوسف/16

وقال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾. سورة يوسف/38.

وهذه آيات صريحة في استخدام الأب بمعنى الوالد المباشر الصلبي .

واستخدم لفظ "الوالد" و"الوالدة" أيضا ، بنفس المدلول :

قال الله تعالى : (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) البلد/3 .

وقال تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. النساء/7 .

ثم قال في نفس السياق ، بعد ذلك بآيات : ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. النساء/11 .

ومن العجب، والأمر كله عجب !! أن هذا (الدكتور) غفل عن باقي الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فِإِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾. الأحزاب/5.

فلو كان الأب بمعنى المرابي ، فكيف يُغفل عنه ، ولا يُعرف !!؟

ثالثاً :

وسبب نزول الآية يرد عليه أيضاً، فروى البخاري: (4782)، ومسلم: (2425): عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أنه كان يقول: " ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد ، حتى نزل في القرآن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. [الأحزاب: 5] " .

يقول ابن كثير: " هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأديعاء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وأن هذا هو العدل والقسط.

.... وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك .. ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزَيْنَب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة، وقال: ﴿لَٰكِي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا﴾ [الأحزاب:37] انتهى من " تفسير ابن كثير" (377 /6).

رابعاً:

وأما أن يستخدم "الوالد" أو "الأب" بمعنى المرابي، أو الشفيق: فهذا من مجاز اللغة، وسعة استعمالاتها، ثقة بفهم الفاهم، وعقل العاقل؛ من غير أن يعبأ صاحب اللسان، وأهل اللغة: بجهل الجاهلين، أو هذر الهاذرين .
والواقع أنه لا معنى للإكثار من الدلائل على مثل هذا الأمر الملعوم، الذي لا يماري فيه إلا جاهل بلغة العرب، جاهل بالقرآن الكريم، جاهل بما مضى عليه أمر الناس، وتعارفوه فيما بينهم؛ أو مسفسط، ينكر البدهيات، ويريد أن يبحث مع الناس في الضروريات .

ومثل هذا دواؤه الإعراض عنه، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف/199

وإنما الذي آلمنا حق الألم: أن يكون طالب جامعي: يصغي إلى مثل هذا الهراء، ويرى فيه "منطقية" !!؟

فيالله العجب؛ أن يتسلط الجهال، على أبنائنا، ثم ينخدع الأبناء في سن الجامعة بمثل هذا الدجل والهراء، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

والله أعلم